

سيكولوجية الشؤون الحربية

بقلم

نعيم محمد عثمان

دفعت مصر في الصيف الماضي إلى أن تنزل ميدان القتال ، وقد تدفع إليه ثانية عما بعيد أو قريب ، وخلق بالمشتغلين بعلم النفس قبل أن تقع هذه الوقعة الثانية أن ينهوا العسكريين إلى سيكولوجية الشؤون الحربية ، فيكشفون عن الدور الذي يضطلع به النفسانيون من إشادة للروح المعنوية إلى تصميم لحرب الأعصاب عن طريق الدعاية، ومن رعاية دائمة للمحاربين تتعهدهم منذ لحظة الالتحاق حتى ساعة التسريح ، إلى نهضة نفسية عامة لخوض القتال وإعداد تدريجي لتقبل السلم إلى آخر هذه الأمور التي سيكون حديثنا عنها أدنى إلى الإشارة إليها والتنبيه عليها منه إلى أي شيء آخر .

إن استخدام الوسائل السيكولوجية في الشؤون الحربية قديم قدم تاريخ القتال ، فطروادة قد سقطت في أيدي حفنة من الإغريق لدرايتهم بمبادئ السلوك الإنساني وتسخيرها لخبرهم . والمخارب البدائي إذ يمسح وجهه وهيبته بألوان ملطخة ليثير الرعب في نفس خصمه إنما يكشف عن فهم تلقائي للانفعالات النفسية يستخدمه لتدعيم شجاعته وتخويف خصمه . وقد تضمن العهد القديم مبدأ نفسياً ما يزال يعمل به حتى اليوم « فرق تسد » . والشؤون الحربية الحديثة لم تستحدث من الوسائل النفسية الجديدة قدر ما نهجت وسعت في الوسائل القديمة .

وثمة اتجاهان أساسيان للوسائل النفسية في الشؤون الحربية أولها يخلق القوة في جانبنا ويدعمها ويعرف بالبناء المعنوي والثاني يتلمس مواطن الضعف عند العدو ويثير شكوكه ومخاوفه ويعرف بحرب الأعصاب .

السيكولوجية يهيء للحرب

١ - الروح المعنوية :

إن أهم المشاكل في خلق دوافع العمل عند الأناس هي الرفع من روحهم المعنوية وتنميتها ، حتى لقد ذهب هول إلى أنها المستوى الأقصى للحياة والسلوك . والروح المعنوية ليست من المسائل التي تنكشف في يسر للتحليل ، ومع ذلك فليس ثمة ما هو أظهر منها سيات حين نجدها أو نفتقدها . وليس من العسير على أى شخص أن يستخدم لفظة الروح المعنوية استخداماً صحيحاً ، وإنما العسير كل العسر هو أن ينتهى من تحليلها إلى تعريف لها يجمع صفاتها بقدر ما يمنع الأخرى ، فما أحسب من المفيد أن نعرفها كما فعل البعض بأنها القدرة على متابعة عمل ما سبها الشاق الطويل منه في تصميم ورغبة ، فهي نقيض الغزوف . فحسبنا إذن أن نبين بعض الصفات التي تميز من يحوزها ممن يعوزها ، وذلك هو ما فعله داشيل حين انتهى من بحثه إلى أن الحائز لها يكشف نشاطه عن « قدر أكبر » من الطاقة المستخدمة بوسائل « أكثر تماسكاً » تكون ذات طابع « إنشائي مخصص » ويدعم هذا النشاط حالة انفعالية مركزة ومتجددة القوى ندعوها بالحماسة أو التحفز أو الأمل أو الثقة . وقد أحس الطرفان المتحاربان في الحرب العالمية الأولى بما لإشادة الروح المعنوية ودعمها من أثر عظيم فكتب فوش أن تسعين ألف مقاتل قد استسلموا لتسعين ألف من الأعداء لأن الروح المعنوية قد أعوزتهم ففقدوا الثقة في النصر . ولقد قرر نابليون قبله بسنوات طويلة أن الحرب تتطلب من القوى المعنوية ما يعدل ثلاثة أضعاف ما تتطلبه من القوى المادية . ومعنى هذا أن الوحدات ذات الروح المعنوية المنخفضة تحارب في وهن وتعانى تبعاً لذلك زيادة في الخسائر إن لم يكن الخسارة كلها . وقد أجهد النفسانيون أنفسهم للوقوف على الوسائل التي يمكن بها رفع الروح المعنوية عند الأفراد والوحدات . ويبدو بادئ بدء أنها تعتمد أكثر ما تعتمد على عوامل الحيوية والدوافع والثقة بالنفس . وإن الحُجْمع الأهلى الأمريكى للأبحاث الذى اجتمع لبحث سيكولوجية الرجل المقاتل قد تقدم إلى القواد بالقواعد الآتية التى تدعم العوامل الثلاثة السابقة المشيدة للروح المعنوية :

١ - دَع كل فرد يشعر بأن وحدته تحتاج إليه وأن عمله فيها مهم .

- ٢- لا تدع فرداً قط ينسى أنه رجل عسكري وأن كل عسكري في جيش الولايات المتحدة هو شخص محترم .
 - ٣- أبين في وضوح أن الوحدة لها وظيفتها الخاصة الضرورية لكسب الحرب .
 - ٤- شجع مظاهر الاعتداد والكبرياء فيما تقوم به الوحدة .
 - ٥- امنح الثناء والتشجيع بحق عند ما يكون ذلك مناسباً .
 - ٦- لا تقلل من شأن فرد أو تحقره على مشهده أو مسمع من الآخرين إلا أن تقتضى ذلك طوارئ الحرب كما هو الحال في المعركة التي تتطلب إصلاحاً سريعاً وأوضح في الحالين أنك تعاقب الفعل لا الشخص .
 - ٧- قاوم الفراغ ما استطعت ولكن دع السبيل إلى الترفيه ممكناً .
 - ٨- مرّن كل فرد على الأفعال المفيدة التي تقتضيها المعركة ولقنه أن هذه العادات ستخفض خوفه عند الاشتباك كما تجعل منه محارباً كفئاً مدرباً .
 - ٩- احرص على أن يعمل الأفراد معاً كلما أمكن فإن التعاون الجماعي يزيد من الفاعلية .
 - ١٠- اجعل الفرد الذي يعمل في مهمة منعزلة يشعر بأنه رجل غير منسي .
- تحتاج إليه .
- والحق أن هذه النصائح قد أغفلت بعض العوامل التي لها أهميتها في بناء الصرح المعنوي فردياً كان أم جماعياً . فالرجل المقاتل يجب أن يكون أهلاً للقتال ، يملك روح المخاطرة إلى قوة جسمية تبعد عن منال التعب والمرض والسأم إلى سلامة طبيعة في ظروف الحرب ، يقدم على القتال بدوافع من فهم للحرب وتقدير لتأثيراتها إن نصرّاً أو هزيمة وتملك عليه نفسه ثقة بنفسه ووحده ووطنه ؛ فالجندي المثالي هو الذي يعتقد في يقين أنه ينتمي إلى خير وحدة في خير جيش لخير وطن . يعلم أن أسلحته هي الفضلى وأن مهماته لا تجارى إلى آخر هذه الأمور التي تنضج في أقوى صورها في مزاعم النازية عن الجنس الآرى وما يلحق بذلك من أكاذيب حيوية .
- وقد حاول السيكولوجيون الحربيون الأمريكيون أن يضعوا القواعد الأساسية التي تضمن خلق شتى الدوافع الضرورية للحرب فانتبهوا إلى النقاط الآتية :
- ١- تكرار التوكيد لأهمية نتائج الحرب وضرورة الهزيمة الكلية الملاحقة للأعداء .
 - ٢- تصميم وتوجيه الدعاية المضادة في عناية وإحكام للرد على دعاية الأعداء .

٣- التزويد بأفضل المهمات والأسلحة والفرق الدقيق الذى يجعلها مألوفة .
٤- التوضيح للخطط والعمليات الحربية بقدر يراعى السلامة من أخطار الجاسوسية .

٥- التزويد بخير ما يمكن من المهونات من غذاء وملبس ومأوى وتوزيع سريع ومنظم للبريد وترفيه وتغيير للمواقع ، وقد قيل إن البريد و « المس » mess هما أكثر العوامل أهمية فى رفع الروح المعنوية للمقاتل .

٦- الإصلاح بقدر الإمكان لمسببات الشكوى وإظهار العطف بإزاء تلك التى لا يمكن إصلاحها .

٧- وضع البرامج بحيث يمتلئ يوم الفرد بالعمل أو الترفيه فينحصر الفراغ وعدم النشاط فى أقل حيز ممكن .

٨- تقدير لرغبة الجند الطبيعية فى الإفلات من الخدمة العسكرية بين الفينة والفينة بإعداد سياسة لراحاتهم وإجازاتهم .

٩- العدل فى المحاكمة : عقاب للمذنبين ودفاع عن المتهمين الأبرياء وفرصة تتاح للمذنب الحديث العهد بالإذئاب كى يعدل عن مسلكه .

١٠- التجهيز بخدمات طبية على أحسن نحو ممكن للعناية بالمرضى والجرحى .

١١- المحافظة على الروح الديمقراطية قدر المستطاع بين الضباط والأفراد .

١٢- إتاحة الفرصة للكفاءة والتضحية والشجاعة الفائقة لنيل ما تستحقه من ثناء أو مكافآت أو أوسمة .

١٣- إفساح الفرصة للتشاور والمساعدة فى شئون الأفراد الشخصية أو مشاكلهم القانونية .

١٤- معرفة بالمبول والقدرات بقدر المعرفة بالحاجة الحربية إلى التخصص .

١٥- مساعدة الأفراد فى تكيفهم مع الحياة العسكرية بالتوجيهات العامة والانتباه الشخصى والصحة العقلية الوقائية . وقد استوقف داشيل هذا التعدد والتعقد فى وسائل رفع الروح المعنوية فى الجيوش الحديثة فأرجعها إلى أربعة عوامل رئيسية :
(١) العناية بالصحة الجسمية ، ليس فقط لتصح أجسام المحاربين بل أيضاً لتسلم انفعالياتهم ، وهذا بعينه ما حدا بالوحدات الطبية الأمريكية إلى دراسة الأمراض الجسمية من حيث ما تخلفه من آثار سيئة فى نفوس المحاربين .

(٢) ضرورة إيمان المحارب بشرعية الحرب وبوقوفه فى جانب الحق ؛ فحسبها

يكون الإيمان تكون الاستماتة في القتال وغالباً ما يخدم الدين في تدعيم هذا الإيمان كجانب من مختلف الجوانب التي تسخرها الدعاية المواطنة .

(٣) ثقة المحارب بنفسه وحيثه ، فإن الروح المقاتلة يغذيها النصر قبلها مندفعة إلى نصر جديد حتى لقد قيل بأن ليس ثمة شيء ينتصر كالنصر وما أكثر الهجمات التي تشن في الحروب في إحكام ودقة بالغين لا للحصول على موقع استراتيجي ولا لكسب تكتيكي وإنما فحسب لخلق الشعور بالنصر فالثقة في نفوس المقاتلين .

(٤) الترفيه عن المقاتلين بما يسمح به الموقف الحربي من ألعاب القوى والغناء الجماعي والعرض السينمائي ... الخ ففي ذلك ما يجد نشاطهم ويشحذه من جديد للقتال . وقد قامت مشكلة عويصة منذ عهد أرسطو نتجت عن محاولة التفسير العقلي لأثر الترفيه في رفع الروح المعنوية ، وقد تعددت النظريات متلاقية حيناً ومتعارضة أحياناً ، ولن يعنينا من أمرها الكثير أو القليل ما دام الأثر حقيقة واقعة ملموسة .

ولكن هل في هذه القواعد والإرشادات حين يتبعها القواد ما يكفي لخلق الروح المعنوية ورفعها بين أفراد الجيش ؟ أليس الجندي قبل كل شيء فرداً من أفراد الشعب يتأثر بعائلته وأصدقائه وأفراد جبرته ؟ كلا ، وبلى فإن الروح المعنوية للجيش ليست غير مظهر من مظاهر الروح المعنوية للشعب فلا بد أن تقوم هيئة تضطلع بشئون الدعاية الداخلية فتجعل من الأمة كلها صفوفاً متكاثفة في وجه العدو . فلا بأس والحال هذه أن تفرد بعض السطور للحديث عن الدعاية في خلقها ودعمها للروح المعنوية .

ترتبط الحرب كما يرتبط السلم ارتباطاً وثيقاً بالدعاية فالحرب نتيجة له وهو نتيجة لها والدعاية نتيجة لكليهما ، وواحد من أهم آباؤهما غير الشرعيين ، حتى لقد قيل إن اغتيال ركن من أركان هذا الثلاث يعد بمثابة صنع لمنضدة ذات ثلاثة أرجل ، لتقف منتصبه على واحدة أو اثنتين . ونحن نجد في الدعاية المستخدمة في الحرب العالمية الأولى عدداً غير قليل من النقاط المهمة . فإن نجاح الدعاية الأمريكية الإنجليزية الفرنسية سواء في الداخل أو في الخارج يكشف عن أهمية نعلو على الشك للتنظيم المركزي القوي الذي يشرف على نشر الدعاية وفقاً لطريقة منهجية ، فقد كان دعاة الحلفاء يعرفون أوطانهم خير معرفة ويتبعون في حذق

بالغ أحوال البلدان الأخرى : جلهم من رجال الصحافة والساسة يجد من خبراته السابقة ما يعينه على اكتشاف الاتجاهات الحاسمة لإثارتها من بعد . وعلى التقيص من ذلك فقد فشلت الدعاية الألمانية حتى إبان انتصارهم في الجبهتين الشرقية والغربية إذ تعثرت في المحطات الحاسمة . فقد أساء الدعاة الألمان في أمريكا التصرف بمحاولاتهم المباشرة الحشنة لتأليب الأمريكيين على الحلفاء قبل أن تفكر الولايات المتحدة جدباً في أن تتزل ميدان الصراع . وكان حرياً بهم أن يلجئوا في مثل هذه الحال إلى أساليب الدعاية الخفية كما فعل الإنجليز . لقد كان الألمان من السذاجة بحيث حسبوا أن كسب الحرب يتوقف أعظم التوقف على الاستراتيجية العسكرية ، فكان إهمالهم لدراسة النفسية الأمريكية فإخفاقهم في اجتذابها ، ففي الحرب . حقاً لقد حاول الألمان تنظيم حملات الدعاية تحت إشراف مكتب مركزي ، ولكنهم وكلوا شئون الدعاية كلها إلى رجال عسكريين يجهلون نفسية الفرد قدر ما يجهلون نفسية الجماعات ولا يرتاحون إلى الأساليب الملتوية القائمة على التشويه المقصود للحقائق ، فإن الداعي الحق يجب أن يكون سيكولوجياً قبل كل شيء ، يتبين الاتجاهات السائدة للجماعات يصمم الكثير من المواقف المثيرة لها . فإن كانت الجماعة تكره تقتيل النساء والأطفال فانسب ذلك إلى الأعداء وحاول أن تدعه ببعض الصور ، وإن كانت الأقلية الألمانية في أمريكا تأبى التعاون مع الأمريكيين في حربهم ضد الألمان فأذع بينهم أن غرض الحرب هو تخلص ألمانيا من حكم أقلية مستبدة . وإن ارتأى الاشتراكيون أن الحرب ليست غير صراع رأسمالي جديد فلتبن لهم أن هزيمة البروسيين خطوة ضرورية لينفسح الطريق أمام الديمقراطية الحقة إلى النصر... إلى آخر هذه الوسائل التي تضطرد سعة وضيقاً مع عبقرية الداعي ونهدف أبداً إلى رفع الروح المعنوية للمواطنين عن طريق مباشر أو غير مباشر بما تلجأ إليه من خلق وكبت وتشويه للحقائق . وليس معنى هذا أن الدعاية تقتصر على هذه الوسائل المشينة - إلا أن تنتسب إلى غاياتها - فكثيراً ما تستغل حدثاً من الأحداث الواقعة لتظفر بما تريد .

ولكن هل ينهى عمل الدعاة السيكولوجيين بانتهاء الحرب فيسرحون مع المسرحين إلى دورهم ؟ كلا فإن السلم يبدأ بمشكلة سيكولوجية إذ تظل اتجاهات الحرب قائمة وتتطلب منافذ أخرى لتصريفها . وقد أدركت روسيا السوفيتية هذه الحقيقة ، فعملت بعد الحرب العلمية الأولى على أن ينسى الشعب الماضي بتبشيره عن

طريق الدعاية للحرب المقبلة وها نحن أولاء وقد أدرك العالم كله هذه الحقيقة .
نعم بهذه الدعاية إلى حرب ثالثة وإن مضت سنوات على الحرب العالمية الثانية .

ب - حرب الأعصاب :

إن الهجوم السيكولوجي قد سبق القتال أو يصاحبه ويكشف تاريخ السنوات الأخيرة عن صدق هذا القول فإن الحرب العالمية الثانية قد بدأت قبل أن يقع الاشتباك بسنوات وذلك بنشر الدعاية لتخلق التعاطف والمشاركة الوجدانية في نفسية الشعوب المحاربة ولتثير القلق والاضطراب في نفسية الشعوب المعادية . وقد أثبتت ألمانيا النازية مهارة فائقة في هذا الضرب من الدعاية تجلى أعظم ما تجلى في المراحل الأولى من القتال العالمي الأخير . وإن هذا الضرب من الدعاية المهاجمة أو من حرب الأعصاب يستخدم فنوناً شتى للوصول إلى أغراضه . ولعل أهم هذه الفنون يمكن تلخيصه فيما يلي :

- ١ - جمع المعلومات في بلد العدو لمعرفة مواطن قوته وضعفه ولا يتم هذا ما لم يحرص القائمون على جمع المعلومات على خلق جو من الثقة حولهم .
- ٢ - ترويج الإشاعات بين الأعداء كالدعوة الكاذبة إلى السلم العالمي وما إلى ذلك من أمور تحمل العدو على التجاهل النعamy للأحداث عوضاً عن تتبعها في بقطة دائمة . هذا إلى غرس الاعتقاد بوجود الاستبداد في البلد العدو لتأليب الشعب على الهيئة الحاكمة ونحذلاتها في اللحظة الحاسمة ؛ والعمل على توسيع النزاعات الداخلية من تناحر حزبي أو ديني ، لتحويل نظر الشعب عن عدوه الخارجي ، وتشجيع الشعب على الإفراط في النقد الذاتي حتى يبدو هيناً في عين نفسه وينتهي به الأمر إلى التخاذل . وإن نظرة إلى تاريخ أمريكا في الفترة ما بين الحربين العالميتين تكشف عن حركات من السلام غير صائبة التوجيه ، وعن اتجاه أهلي استهتاري اندفاعي يضحك المساويء ويرتاب في الخير . وقد يبدو لأول وهلة أن هذه المظاهر وما إليها ترجع فحسب إلى دعاية الأعداء ، غير أن سيكولوجية الشؤون الحربية قد أبانت أن الداعي السيكولوجي لا يخلق الشكوك الجديدة ولا يثير عدم الثقة من عدم ولا يقلب الحب كراهية ، وإنما هو عوضاً عن هذا كله يتخير بعض المخاوف والاتجاهات الموجودة بالفعل وما عليه بعد ذلك إلا أن يمروح البعض ويحمد الأخرى فإذا النار شابة حيثما يريد .

- ٣ - رعاية الاندحار والآراء الخاطئة واليأس والشعور بالإجهاد والملل .
- ٤ - الوعد بتصالح سخى ومعاملة حسنة للأسرى . وليس يبعد عن أذهاننا ما وعد به الحلفاء إيطاليا والإيطاليين من غذاء وفير ومعاملة كريمة فكانوا يهربون زرافات من خطوطهم ليلقوا بأنفسهم مستسلمين عند خطوط الحلفاء .
- ٥ - إلقاء الرعب في نفسية الشعب المعادى بإلقاء النشرات وإذاعة البيانات عن أسلحة جديدة مزعومة ومخازن ذخيرة موهومة . وما أحسب من المفيد أن نتوسع في بيان ذلك ، وهو عالتى بعد برءوس الجميع .

السيكولوجى فى فترة التدريب

للحياة العسكرية إذا قورنت بالحياة المدنية بعض المزايا وبعض المساوئ تتفاعل في كل شخص يلتحق بالجيش مع تجاربه الماضية وهيكل شخصيته فتجعل تحوله سهلاً أو عسيراً .

ومن المنافع العامة في الحياة العسكرية هذه الطمأنينة التي تتمثل في صورة غذاء مضمون وملبس وماوى مكفولين إلى تحرر من المسؤولية وفرصة للتقدم والترقى وزيادة في الدخل ورحلات مثيرة في الخارج وتوكيد للرجولة . ومن المنافع الخاصة هذه العودة للمتقدمين شيئاً إلى حياة الشباب وهذه الفرصة التي تتاح للبعض للبطولة والاستشهاد ، أو للتخلص من زيجة غير موافقة أو ارتباطات عائلية ثقيلة أو وظائف رتيبة خاملة ، ناهيك عن الفرصة التي يجدها السيكيوباتى والسفاك بالطبع للتقيل والتدمير .

ويلزم عن ذلك من ناحية أخرى بعض المساوئ للحياة العسكرية التي تتضمن صدع السلام العائلى خاصة والمدنى عامة ، إلى علاقات جبرية مع عدد كبير من الغرباء مختلفى الميول ، واقتطاع وحرمان من ترف الحياة المدنية وامتيازاتها ، ودخل محدود ، ونظام صارم ثقيل يتمثل في نوبات اليقظة والرجوع والنوم والتحية المتصلة للرؤساء ، والأكل الخشن في أوان خشنة ، والنوم على الأرض وانتعال أحذية ثقيلة ... إلخ وقبل هذا كله التهديد الدائم بالإصابة أو التشويه أو الموت . ويبدو من هذا التخطيط للمؤيدات والمعارضات ما يعانیه المجند الحديث من قلق واضطراب . وقد وجد بالتجربة أن غالبية الأفراد يبدون تحولا مرضياً بعد عدد

قليل من التجارب القاسية وينتهى بهم الأمر إلى تجرع الحياة العسكرية . وكل وحدة تعرف ما ينشأ عن التجربة التحولية من مشاكل ، فنخصص الأسابيع الأولى من التدريب لتفهم الحياة العسكرية والتعود عليها ويكل بعضها إلى الضباط وضباط الصف مراقبة استجابات الأفراد للكشف عن الاستجابات غير الموافقة ومحاولة استبعادها شيئاً فشيئاً بالنصح والمحاضرات ليتبين لكل فرد الاستجابة الصحيحة المناسبة لموقف موقف .

وإن المساهمة السيكلولوجية لعظيمة الدلالة في مراحل التدريب الأولى إذ تشيد صرح الصحة العقلية للوحدات كما يكشف عن ذلك فارل في مذكراته « دروس تلقن للجيش » . وقد وجد أن هذه الفترة من التدريب تكون من تكيف الأفراد مع الحياة العسكرية بمثابة حواجز الوئب وليس أدل على ذلك من أن الاضطرابات العقلية عامة والحالات العصائية خاصة تقع عادة في الأسبوعين الثالث والرابع من التدريب . وقد أنشأت بعض الجيوش الحديثة وحدات الصحة العقلية تحت رعاية إحصائيين نفسيين مهرة ممتازين ، يعاونهم بعض المساعدين الاجتماعيين ، لاكتشاف هذه الحالات قبل أن يستفحل أمرها ولعاونة الأفراد الأكثر ثباتاً والأقل انفعالية على التكيف مع الحياة العسكرية ، وتشجع هذه الجيوش أفرادها بالحدود على الالتجاء المستشير إلى هذه الوحدات ، كما تطلب إلى ضباطها التنبيه إلى كل سلوك يتطور إلى العصاب وعرضه على هذه الوحدات . وهكذا يجد المجند الحديث في هذه الوحدات ما يعينه على التكيف السريع مع الحياة العسكرية ، الأمر الذي دفع وما يزال يدفع جيوشاً أخرى إلى أن تنحو هذا النمو فلم تعد فائدة هذه الوحدات بعد موضوع جدل يؤخذ فيه ويرد . وثمة عمل عقلى وقائى يقوم في مجموعة من المحاضرات كان يلقيها الجيش الأمريكى لضباطه وأفراده في مراكز خاصة ولكنها عدلت أخيراً لتستخدم في مختلف وحداته . وتشمل المحاضرات الخوف والغضب والرغبة في الحياة المترلية وما إلى ذلك من الموضوعات مع الإبانة عن طبيعتها كردود فعل عادية تنشأ عن الحياة العسكرية إلى تقديم مقترحات نوعية للشفاء منها . وبالإضافة إلى ذلك يصير إقحام الضباط بعض الميكانيزمات العقلية ليس فقط ليتبينوا صعوباتهم التكييفية الخاصة ولكن أيضاً ليفسروا سلوك جندهم ويزيدوا من قيمة ذواتهم كقادة .

السيكولوجى إبان المعركة

رأينا كيف تكثر الإصابات النفسية فى الأسابيع الأولى من التدريب ، ولكن هذه الكثرة تتضاءل إذا قورنت بالإصابات التى تحدث أثناء المعركة . ومن الأمور المؤكدة أن قضاء فترة طويلة فى المستشفيات يميل بالحالة العصبية إلى التركيز حول الذات . وقد ينتهى بها الأمر إلى التوسط فى اكتساب أعراض جديدة ، وعليه فقد وضعت خطة يتم بمقتضاها علاج الحالات النفسية فى أقصر وقت ممكن ثم تكون عيادتها بعد ذلك فى مراكز غير منعزلة هى إلى الحياة العسكرية أدنى منها إلى حياة المستشفيات فإذا رأينا من حالة البعض ما يعد بقدرة على الاضطلاع ببعض الأعمال المفيدة يصير ترجيلهم إلى وحدات إعادة التدريب حيث يدربون على ما يتفق مع قدراتهم من المهام العسكرية . وقد وجد فى قطاعات القتال أن الإصابات العصبية وما إليها حين تكتشف وتعالج فى التو فى المناطق الأمامية ، فإن حوالى ثمانين فى المائة من الحالات يمكن أن يستأنف القتال بنجاح . وهنا تقع مسئولية ضخمة على عاتق الملحق السيكولوجى بالوحدة . فقد خبر المجندين إبان فترة التدريب ، وبصر الضباط وخاصة الأطباء منهم بفهم للأعراض العصبية والطرق الصحيحة فى معالجتها . فالملحق السيكولوجى يكون أشد ما يكون فائدة عند ما تشبك وحدته فى القتال . يعالج الحالات الخفيفة فى مسمع من الطلقات والقذائف ويرحل الحالات الخطيرة إلى مستشفى الخطوط الخلفية . وطبيعى أن يكون من الخبرة بحيث يتعرف الحالات التى تمارض للافلات من القتال ، ولا تختلط عليه الحالات التى يمكن علاجها فى المناطق الأمامية بتلك التى تتطلب الترجيل السريع إلى الخلف . فإن تأخر العلاج فى الحالة الأولى يزيد من حدتها فالتتائج العلاجية تطرد حسناً كقاعدة عامة مع الإسراع بالعلاج ، وإن تأخر الترجيل فى الحالة الثانية قد ينتهى إلى كارثة تلحق بالمريض وأذى ينال من الروح المعنوية للوحدة ، فإن تم الترجيل على نحو مرضى كان فى مكنة مستشفى الترجيل الذى يبعد أميالاً قليلة عن الجبهة أن يقوم بعلاج الحالات التى لا يتطلب علاجها فترة تزيد عن الخمسة أيام ، وأما الحالات الأخرى فيصير ترجيلها إلى مستشفيات جد بعيدة .

السيكولوجى بعد الحرب

تنتهى الحرب ولكن بعد أن تخلف وراءها الكثير من المستشفيات التى تغص بالإصابات الجسمية من جروح وعاهات والإصابات النفسية من عقلية أو انفعالية وهذه الإصابات تمثل عبئاً ثقيلاً يلقى على كاهل المجتمع فى أثر كل حرب وقد كان الأمر يهون لو وقف عند حد هذه الإصابات ، فهى ليست غير الصورة العليا لمشاكل العائدين من القتال .

وقد جربنا كيف يقع التكيف عسيراً بين المجهند الحديث والحياة العسكرية . ونحن هنا نثبت أن هذا العسر لا يقاس إلى زميله الذى يحدث عند عودة المقاتل إلى التكيف مع الحياة المدنية . فلن تغيرات عميقة تطرأ على حياة كل فرد يلتحق بالجيش وبشترك فى القتال ، كما تطرأ هذه التغيرات على بيئته التى رحل عنها ، فتقع الهوة متسعة بين الجائين ويتحتم على كل عائد أن يعانى التكيف من جديد مع بيئته السابقة . وقد حاول روجرز أن يحول المشاكل السيكولوجية التى تعرض هذا التكيف فأنهى إلى النقاط الآتية :

- ١ - إعادة التكيف المهنى . ٢ - اضطراب التقدير للذات . ٣ - عدم تحديد الغرض . ٤ - ثوابت القتال . ٥ - التكيف العائلى والزوجى . ٦ - التكيف مع المشاكل .
- ونزيد الأمر وضوحاً فنبين أن هذه الدورة تكون انتقالاً من حياة نشيطة فى العراء إلى حياة خاملة ضيقة النطاق ، أو من حياة مخاطرة مثيرة إلى حياة وظيفية رتيبة كالطيار المحارب يعود إلى توزيع البريد ، أو من حياة مجدية نمطية إلى حياة عقلية خصبة ، أو من التعاون الحربى والعمل الجماعى إلى ميدان التنافس الفردى ، أو من دخل مضمون وضرورات مكفولة إلى بطالة أو ... أو ... الخ .
- وقد بحث الكولونيل ايفانس مشاكل العائدين فوضع برنامجاً لعلاجها يرى إلى أغراض ثلاثة :

- ١ - إعداد تقرير بالكفايات المفيدة فى تحويل خبرة الفرد العسكرية وقبل العسكرية إلى ميادين العمل المدنى .
- ٢ - اعتماداً على التقرير السابق تكون مساعدته فى التقييم لإمكاناته والانتهاه إلى خطة واقعية لمستقبله .
- ٣ - التزويد بالمعلومات والاستشارات الفنية فى أى من الموضوعات التى تتصل بعودته إلى الحياة المدنية .

ومعنى هذا أن نوزع العائدين تبعاً لحاجة الزراعة والصناعة ومختلف الأعمال المدنية تماماً كما فعل بهم مركز استقبال المجندين ليسد بهم شتى المطالب العسكرية، وليس من العسير على هيئة مدنية أن تضطلع بمثل هذا العمل فتحل كل عائد في العمل الذى هو أهل له . وقل مثل ذلك في كل ناقة يغادر مؤسسة صحية فيستحيل عليه وصل ما انقطع بالحرب . ولكن بوسعه مع ذلك أن يبدأ حياة جديدة تتفق مع مدى قدرته الجسمية أو العقلية . وقد يجد الناقه كغيره من العائدين خير عون فيما استفاد من خبرة إبان خدمته في الجيش فقد تفتح له من سبل العمل ما لم يكن يفتتح أمامه .

السيكولوجى يهين السلم

تكشف الخبرة السيكلوجية الحربية أن السلم يتقدم ويتأخر تبعاً للرغبة العالمية التى تهدف إلى أغراض سياسية أو جنسية أو جغرافية معينة. والحق أن السلم السعيد يتعلق بمدى الاهتمام العالمى بتوطيد الحرية الحققة فى العالم بأسره أكثر من تعلقه بالقواطع الجغرافية أو الفواصل الجنسية أو السياسية، فمن شأن الحرية الحققة أن تطور وسائل فض النزاع العالمى إلى نحو أقل عنفاً من وحشية الحرب . ولا يتم هذا إلا أن يخلق السيكلوجى الرغبة العالمية المتكاملة ضد فكرة الحرب ، ذلك بإتاحة الفرصة أمام الشعوب للاستبصار بها وما تنطوى عليه من أهوال وتنمخض عنه من كوارث : حياة شاقة فى الخنادق وقتال مرير بالسلاح الأبيض وأسلحة كيميائية وذرية للفتك والتدمير والتكل واليتم والترمل ... إلخ فإن قدر للشعوب أن تحظى بهذا الاستبصار سهل على السيكلوجى من بعد أن يحرف الطاقات الإنسانية إلى مسيل القيم الروحية التى ترضى المثل الإنسانية، وكان عليه بعد ذلك أن يدرس كل خصومة عالمية ويقترح من الحلول ما يراه كفيلاً بحلها قبل أن تبلغ القمة الانفعالية المصاعدة إلى الحرب فيوطن بذلك الرغبة العالمية عن الحرب فالرغبة عن الأنظمة المبيتة لها فالرغبة إلى أنظمة خير منها .

نعيمه محمد عثمان

المراجع :

1. Psychology in military affairs; by George L. Fahey & Murray M. Mintz; in Psychology in human affairs; by J. Stanley Gray.
2. Propaganda, its psychology and technique; by Leonard Doob.
3. Fundamentals of general Psychology; by Dashiell.